اسم المادة: النفخ في الصور

من سلسلة: رحلة إلى الدار الآخرة

لفضيلة الشيخ: د. غريب رمضان

اسم المادة: النفخ في الصور
من سلسلة: رحلة إلى الدار الآخرة
لفضيلة الشيخ: د. غريب رمضان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحبابي في الله، كل من عليها فان، كل من عليها فان. هذه الحياة ستنتهي. نهاية كل شخص ده موضوع، ونهاية كل الخليقة ده موضوع تاني خالص. كيف تتم نهاية الخليقة كلها؟ بالنفخ في الصور، النفخ في الصور، وهذه عقيدة ثابتة. ما هو الصور؟ وكيف يقع النفخ؟ وكم نفخة تحصل؟ وما الذي يتغير بالنفخ في الصور؟ ماذا يتبع ذلك؟ كل نفخ في الصور له أحكام مختلفة، وله نتائج مختلفة.

قال النبي –عليه الصلاة والسلام–: لتقومن الساعة حتى أن الرجلان بينهما الثوب منثور بينهما فلا يطويانه ولا يبيعانه، يعني فجأة كده فجأة القيام عند النفخ في الصور. ولتقومن الساعة وإن الرجل قد ذهب بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وأن الرجل ليرفع الطعام إلى فيه فلا يطعمه[1]. تخيلوا! يعني فجأة القيامة. متى؟ عند النفخ في الصور.

ما هو الصور؟

الصور بوق أو قرن ينفخ فيه، لأن النبي –عليه الصلاة والسلام– سئل ما الصور؟ قال: "الصُّورُ قَرْنٌ يُنفَخُ فيه"[2]. الصور ده عبارة عن قرن؛ بوق. انتوا عارفين الناس اللي ماسكة ميكروفون بتتكلم فيه؟ زي الميكروفون كده ماسكه في إيده كده، وله فتحة كبيرة كده، فالبوق يشبه هذا. والله –تبارك وتعالى– أعلم، أو القرن يشبه هذا.

من الذي ينفخ فيه؟

الذي ينفخ فيه هو إسرافيل. وفي الحقيقة لم يرد نصٌ قاطعٌ بإسنادٍ صحيح يبين اسم النافخ في الصور سوى حديث الصور الطويل وفي إسناده مقال وكثير من العلماء ضعفوه أن الذي ينفخ هو إسرافيل، لكن إجماع الأمة أن الذي ينفخ هو إسرافيل. وناقش هذه المسألة ما هو اسم النافخ في الصور؟ الإمام ابن حجر في شرحه لصحيح الإمام البخاري، لكن دلوقتي خلاص الإجماع أن الذي ينفخ في الصور من؟ إسرافيل.

[1] روايات الحديث هنا
[2] أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد

والنفخ في الصور هذه عقيدة؛ عقيدة قائمة. كم نفخة؟ نفختان. وقيل ثلاث وقيل أربع وفيها كلام، لكن المشهور والأرجح أن النفخ في الصور نفختان. نفخة الصعق والفزع، ونفخة الإحياء والبعث. يبقى نفخة الصعق ونفخة الإحياء.

نفخة الصعق: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ" الزمر:٦٨ يبقى صعق؛ نفخة صعق. والنبي –عليه الصلاة والسلام– قال كيف أنعم؟ كيف أنعم؟ يعني إذًا فيه مسلك إيماني لنا مع ذكر عقيدة النفخ في الصور إن احنا مفروض نفوق لآخرتنا شوية ونتنبه. "كيف أَنعَمُ وقدِ التَقَم صاحبُ القَرنِ القَرنَ، وحنَىٰ جَبهَتَه، وأَصْغى سَمْعَه ينظُرُ متى يُؤمَرُ"[٣]. ينتظر متى يؤمر فينفخ. يعني إسرافيل أمسك بهذا القرن والبوق هو مسك به وقاعد ينظر متى يؤمر، فينفخ. سبحان الله! الصحابة لما سمعوا الكلام ده من النبي –عليه الصلاة والسلام– قالوا: كيف نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله ربنا توكلنا.

النبي –عليه الصلاة والسلام– أخبرنا أيضًا في حديثٍ آخر عن صاحب النفخ في الصور اللي هو المفروض إسرافيل ده إجماع الأمة، أنه ينظر نحو العرش، قاعد ينظر إيه؟ ينظر نحو العرش، خشية أن يرتد إليه طرفه. انتم متخيلين؟ يعني اللحظة معاه بتفرق، كأن عيناه كوكبان دريان، ده إسرافيل الذي وكله الله –تبارك وتعالى– بالنفخ في الصور. يبقى دي اسمها نفخة إيه؟ نفخة الصعق. نفخة الصعق.

طيب كيف يحصل الصعق؟

الصعق؛ قيل هو الموت، وقيل الغَشْي. الموت. طبعًا النفخ في الصور ده هيقع على الأحياء، لأن الأموات طبعًا خلاص مش داخلين في الموضوع، لأن هم ماتوا، "لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ" الدخان:٥٦. هو الموتة الأولى بس، هي موتة واحدة. وعليه يكون هناك إلا من شاء الله. هيدخل في إلا من شاء الله؟ الأموات. القول الآخر الغَشْي. الصعق هنا بمعنى إيه؟ بمعنى الغشي، وهذا يكون على الأرواح. هيشمل كله، بهذا المعنى هيشمل كله.

طب ما القول الراجح والله –تبارك وتعالى– أعلم، أن الصعق بمعنى الموت، الصعق هنا بمعنى إيه؟ بمعنى الموت. وهذه النفخة الأولى لها أسماء أخرى في القرآن الكريم. من أسمائها: الراجفة "يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ" النازعات٦:٧. يبقى الراجفة؛ ده اسم النفخة الأولى. أيضًا من أسمائها الصيحة "مَا يَنْظُرُونَ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ" يس:٤٩. ما ينظرون يعني ما ينتظرون إلا صيحةً واحدة. هو النفخ في الصور ده مرة، صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون؛ قاعدين بيختصموا. اللي زي ما قلت من شوية حديث النبي –عليه الصلاة والسلام– الرجلان قد نترا الثوب بينهما، فينفخ في الصور، فتقبض أرواحهما قبل أن يطوياه أو يبيعانه. يعني لا ده خده ولا ده خده بس في لحظة كده، يعني لتقومن الساعة فجأة. يبقى معنى النفخة الأولى؛ الصيحة من معانيها الصيحة ومن أسمائها الراجفة. يبقى دي النفخة النفخة الأولى.

النفخة الثانية

النفخة الثانية هي نفخة البعث، نفخة الإحياء. التي يؤمر بها ميكائيل حينما يريد الله –تبارك وتعالى– للساعة أن تقوم. خلاص يوم القيامة الناس هينفخ في الصور فيقومون "ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ" الزمر:٦٨. "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ" يس: ٥١ من الأجداث؛ جمع جدث والجدث القبر، ينسلون؛ يعني ينحدرون سريعًا، ناس مسرعة. وقد قال الله –تبارك وتعالى– أيضًا في آيات أخر أنهم "مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ" القمر:٨، يعني إيه مهطعين إلى الداع؟ يعني مادين أعناقهم مسرعين. انتم متخيلين؟ قد قاموا من قبورهم، مسرعون مادون أعناقهم من شدة السرعة. انت عارف اللي بيحاول يسرَّع يقوم مادد شوية كده للأمام عشان يمشي، يجري أسرع. طب وهم رايحين

---
[٣] أخرجه الترمذي وأحمد

فين؟ مش عارفين. رايحين ناحية الصوت؟ رايحين في أي اتجاه؟ لا يعلمون إلى أين المسير. كأنهم جرادٌ منتشر، ده تشبيه القرآن، كأنهم إيه؟ "كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ" القمر:٧. نفخ في الصور، نفخة الإحياء "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ"، يعني يسرعوا. وقال الله –تعالى–: "يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ" المعارج:٤٣. "يخرجون من الأجداث" الأجداث كما ذكرت؛ القبور، صراعًا؛ مسرعين جدًا كما بينت سورة القمر كأنهم جرادٌ منتشر، في الانتشار والسرعة وإنهم مغطيين مساحة كبيرة، يعني منتشرين جدًا، مهطعين إلى الداع، يعني مادوا أعناقهم مسرعون، يوم يخرجون من الأجداث صراعًا. كأنهم إلى نصبٍ؛ نصب يعني علامة كده شيء بارز واضح، يوفضون يعني يتهافتون ويتدافعون نحو هذا المكان.

يبقى إذًا هم وكأنهم يتوجهوا لمكان واحد وهم لا يدرون عنه شيئاً. موقف رهيب إن الإنسان يكون عنده الوجهة مجهولة، مش عارف. أنا عايز أقول لحضراتكم بالضبط الموقف ده زي ناس صحيت على صوت رهيب جدًا جدًا، ولما صحيوا لقوا الدنيا ظلام حالك مفيش أنوار، لا قمر طالع ولا كهرباء ولا أي حاجة، ظلام سواد فيه سواد، والصوت رهيب لدرجة أنه أيقظ كل الناس. فصحي الناس إيه الصوت ده؟ انفجار ده ولا إيه بالظبط؟ فهم يتدافعون ويجرون ويهربون ولا يدرون أين الخلاص ولا أين المصير؟ الوجهة مجهولة. الجهالة دي رهيبة يا جماعة، الجهالة دي لوحدها رهيبة.

صحيح. ربنا –تبارك وتعالى– قال عن هؤلاء في هذا الموقف عشان نعرف قيمة التدين وقيمة الالتزام وقيمة الرجوع إلى الله –سبحانه وتعالى–: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ" فصلت ٣٠:٣٢. إيه ده؟ عاقبة الثبات والاستقامة. في الموقف ده؛ موقف النفخ في الصور والفزع الرهيب ده، ثمرة استقامتك وهدايتك وثباتك، وده المسلك الإيماني المهم اللي عايزين ناخده هنا، مش مجرد طرح أدلة وخلاص، تأتيك الثمرة هنا، فجأة تلاقي نفسك وإنت ماشي بقى في ظلام في ظلام، والوجهة مجهولة مش عارفين رايحين فين، والرعب والهلع والفزع والخوف تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا فجأة تفاجأ كده فيه ملائكة في وشك يقول لك لا تخف ولا تحزن. الله! أنتم مين؟ وصلاحيتكم إيه؟ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، احنا ملائكة من قبل الله –تبارك وتعالى–. وَلَكُمْ فِيهَا؛ يعني في الجنة، ما تشتهي أنفسكم وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ. فيطمئن الناس، يطمئن المؤمنون.

يبقى نفس الموقف المرعب ده، عملك الصالح، هدايتك، تأتيك هنا أنك لا تخف ولا تحزن. وهذه النفخة الثانية اسمها أيضًا الصيحة. قال الله –عز وجل–: "إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ" يس:٥٣ صيحة برضه. مَا يَنظُرُونَ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً دي الأولى. إنما إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً إيه؟ النفخة التانية، اسمها صيحة. واسمها أيضًا في القرآن الزجرة. أو زجرة "فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ" النازعات١٣:١٤. الساهرة يعني وجه الأرض، زجرة واحدة اللي هي النفخة التانية المفزعة، اللي هي طبعاً زي ما قلت لحضراتكم أهل الإيمان وأهل الاستقامة وأهل الثبات هيكونوا مطمئنين جدًا جدًا. فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ فجأة خرجوا من تراب، إنت عارف كأن الأرض نبتت، كأن الأرض نبتت بالزبط، بس نبتت بني آدمين، الأرض نبتت بس نبتت إيه؟ بني آدمين. وده كلام النبي –عليه الصلاة والسلام–؛ هقوله بعد قليل جدًا جدًا.

وأيضًا من أسمائها الدعوة؛ الدعوة. "وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ" الروم:٢٥. دعوة خلاص الناس تخرج من الأرض. ومن أسمائها أيضًا الرادفة. "يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ" النازعات٦:٧. دي إيه؟ دي النفخة الثانية.

طيب فيه نفخة أولى وفيه نفخة تانية. كم بين النفختين؟ في الصحيح؛ صحيح البخاري ومسلم. قال النبي –عليه الصلاة والسلام–: "ما بينَ النفختينِ أربعونَ". راوي الحديث أبو هريرة، قالوا يا أبا هريرة: أربعون يوماً؟ قال: أبيت. مش عارف، يعني إيه أبيت؟ يعني ما أقدرش أحكم، معنديش معلومة. قالوا: أربعون شهرًا؟ قال أبيت. قالوا: أربعون سنةً؟ قال أبيت. يعني بين النفخة والنفخة أربعون. مش عارفين قد إيه؟ مش محددة. ثم يرسل الله –تبارك وتعالى– ماءً كالطل، الطل؛ الندى. في رواية موقوفة بإسناد صحيح أن هذا الماء من تحت العرش، فتنبت أجسادهم كما ينبت البقل، انتم عارفين زي ما حبة في الأرض بتنبت؟ زي طريقة النبات بالضبط. زي ما قلت لحضراتكم من شوية الأرض نبتت. بس نبتت بني آدمين بدل ما تنبت نبات أو زرع أو كده لأ هنا طلعت بني آدمين. طب مصدرهم إيه؟ التراب. هو احنا كده، أجسادنا بتذوب وتتحول إلى تراب. كما تنبت البقل، فإن كل ابن آدم يفنى إلا عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة. يعني حضراتكم احنا أجسادنا دي بتدوب خلال ربع قرن من الزمان تقريباً مفيش مننا حاجة بتكون موجودة، خمسة وعشرين سنة تقريبًا. إلا عجب الذنب. عظمة صغيرة جدًا جدًا دي اللي ما بتدوبش.

أيضًا بإسنادٍ صحيح موقوف أنه قال: ليس هناك أحدٌ إلا وفي الأرض منه شيء، مفيش بني آدم خلق إلا في الأرض منه شيء. النفخة الأولى بيصعق كله؛ الإنس والجن كل المخلوقات. النفخة التانية بيحيى كله؛ الإنس والجن والملائكة والحيوانات والطيور كله بيعيش. كله بيحيى بإذن الله –سبحانه وتعالى–.

فاحنا محتاجين نقف وقفة مع أنفسنا، الجسم ده هيدوب، هينتهي، هيتحول إلى تراب. محتاجين نعمل لهذه اللحظة. وبعد أن يتحول إلى تراب يبعثه الله –تبارك وتعالى– ويحيه الله –تبارك وتعالى– بالنفخة الثانية من ملك النفخ في الصور، ليحصل البعث. وهذه العقيدة التي هي فارقة بين الكثير من الأمم، ناس تؤمن بالبعث وناس لا تؤمن بالبعث، البعث؛ الحياة؛ المعاد الثاني المعاد الجسماني. أن تُنْفخ الروح من جديد، تعود الروح إلى البدن من جديد، ويبقى حضرتك بشحمك ولحمك، روحك وجسمك إنت نفسك بقيت كائن موجود وبعثت للحساب. طب والقبر واللي كان فيه؟ كل مرحلة لها ما فيها، يعني كل مرحلة لها ما يخصها. طب واللي اتعذب في قبره بسبب ذنوبه بسبب أعماله هل خلصت؟ لا لا لا ده القبر حاجة ويوم القيامة ده حاجة تانية خالص. حسب أعمال كل إنسان. فيه إنسان بالشدة اللي فاتت كُفِّرَت سيئاته، فيه إنسان لا زالت عليه سيئات.

طيب شوفوا كده ربنا –تبارك وتعالى– ماذا يقول في القرآن الكريم عن المشركين؛ المشركين معترضين وبيقولوا لا مفيش ومفيش بعث ومفيش نفخ في الصور، ومفيش حاجة اسمها الكلام ده كله وأنتم بتضحكوا علينا، بيقولوا للرسل يعني، ودي عقيدة باطلة وكلام مش صحيح. واحنا خلاص أن نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر. جايين تكلمنا في إسرافيل والنفخ في الصور، الكلام ده مش صح. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. "وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ". لا إله إلا الله، ما هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين، ينكرون أن يبقى فيه ملك ينفخ في الصور فتحيى الأجساد ويبعث للناس لرب العالمين. "وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ" الأنعام٢٩:٣٠، وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا خلاص جاء المشهد اللي كانوا بيكذبوا به بالأمس وجاء فعلًا الحادث حصل إن الملك نفخ في الصور وبعثت الأجساد. طبعًا دي حاجة محتاجة إيمان، محتاجة إيمان، من صفات المؤمنين إيه؟ ويؤمنون بالغيب. إن هم يؤمنوا بالبعث، الحساب، الجزاء، الجنة، النار، مؤمنين بالكلام ده. فاللي مش مؤمن خلاص ساعتها بقى هتتصرف إزاي؟ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا دلوقتي لما بقت حقيقة قدامهم. قالوا بلى وربنا. قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ. ثم يقول الله –تبارك وتعالى–: "قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ" الأنعام:٣١.

هو الإنسان اللي رافض البعث ويقول مفيش بعث، مفيش حساب، مفيش ملك اسمه إسرافيل بينفخ في الصور، مفيش الكلام ده كله، هيعمل إيه؟ هيذنب، هيعيش براحته، على فكرة عشان كده من بين أسباب الإلحاد؛ الهوى، يعني هو مش مقتنع به عقلًا. تخيلوا! لكن هواه، الإلحاد ده تحرر فيعيش بقى، القضية يتحرر، ويقعد يكذب على نفسه كده لغاية ما يصدق نفسه ويبتعد شيئًا فشيئًا فشيئًا. فهما كده بيقولوا مفيش حاجة اسمها آخرة فيرتكبوا الذنوب أكثر، يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ربنا يحفظنا وإياكم وينجينا وإياكم. أسأل الله أن يحيينا على الإيمان، ويقبضنا على الإسلام. وأسأل الله –سبحانه وتعالى– ألا يقبضنا إلا وهو راضٍ عنا. بارك الله فيكم وأحسن إليكم. وإلى لقاءٍ جديد. أستودعكم الله. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.